

إسماعيل النشاشيبي

للأستاذ أحمد لطفي السيد

—•••••

اختار الله لجواره في الأسبوع الماضي الكاتب الشهير إسماعيل النشاشيبي زعيم الأسرة المرووفة في فلسطين منذ القرن التاسع الهجري إلى اليوم .

ارتقى — رحمه الله — إلى أعظم المناصب الحكومية في عهد الحكومتين العثمانية والحاضرة — بجده واجتهاده ، فكان المفتش الأول للغة العربية في فلسطين — نظم المدارس وأصاح التعليم في هذا القطر الشقيق — ونشر علم العربية عالياً تشهد بذلك مؤلفاته ومفالاته الذائبة الصيت في العالم العربي — وقد كان السيد إسماعيل بك شديد الحنين لوطن أسرته الأول مصر — فكان يزورها كلما سنحت الفرصة — وهو فوق ذلك يؤلف

فيها الكتب — ويحيى علماءها وشمرائها وزعماءها — ويتمرف إلى أحيائها وأمواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً — وحادثة وقوفه بين يدي المغفور له سعد باشا مرووفة مشهورة .

ونحن بهذه المناسبة نكشف لقراء الرسالة الغراء عن أصل هذه الأسرة العربية الكريمة حتى نقر عين الصديق الراحل بكلمة وفاء صغيرة من أحد أبنائه المعترفين بفعله ... يتصل أول هذه الأسرة بالشيخ المعتقد أحمد بن رحب النشاشيبي — سمي بذلك لأن أجداده كانوا يحترفون صناعة النشاب — وكان الشيخ أحمد المذكور من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق — كان خازن داره الخاص في أيام إمارته الأولى في فجر القرن التاسع الهجري — وتوفي الشيخ أحمد المذكور على عهد المؤرخ الشهير ابن تقي بردي صاحب كتاب النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة وقد وصفه بقوله : (الشيخ المعتقد أحمد بن النشاشيبي كان خيراً يحب العلماء الصالحين) وترك ابنه الأمير ناصر الدين محمد وهو غرة هذا البيت وبواسطة هذا المقد وطراز هذه الحلية

من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالذي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وهذه الصفة التي وصفهم الله تعالى بها ، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقي على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وسترى في الحكمة الآتية كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أموراً كثيرة ، وأن يثيروا فتنة كادت تذهب بالإسلام كله لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هذا الدين كله ولو كره الكافرون .

محمد محمد ساكر

الذي هو تحته ، فجاءه الوحي بما هموا به . ثم يخرج أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي بعد أشهر إلى « غطمان » ومن حولهم من مشركي العرب ، يغريهم بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ...

ولا تزال تمضي من حدث إلى حدث ، ومن غدر إلى غدر ، ومن نفاق إلى نفاق ، واليهود رأس ذلك كله ، والماملون عليه ، والموغلون فيه ، إلى أن تنتهي إلى خبر اليهودية التي وضعت السم في الشاة ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير ، فأكل من شاتها ثم نبي أنها مسمومة فلفظها .

فما معنى هذا كله ؟ معناه أن اليهود لم يفتروا لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا منمن منذ ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه الشجاعة لم تكن عن إساءة لحقهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محمداً ، وخليفة سرية في طباع هذا الجنس من البشر ، وأن النفاق كان طرفاً من دسائسهم ومتنفساً لأضغانهم على أهل هذا الدين ، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تباركت أسماءهم : لئن الذين كفروا

نائب السلطان خضر بك وكان يناصره قاضي السلكية شرف الدين بن يحيى المغربي فكثرت الشكاوى في حقها فمزل الأمير ناصر الدين القاضي بناء على أمر جاءه من القاهرة فلما كانت سنة ٨٩٣ هـ توجه خضر بك نائب السلطنة والأمير ناصر الدين ناظر الحرمين الشريفين إلى القاهرة ومثل كلاهما بين يدي السلطان فعزيز السلطان خضر بك وأمر بمزله والنس الأمير ناصر الدين من السلطان أعفاه . من الخدمة فتوقف السلطان ولكن الأمير ناصر الدين ألح في طلب الاستفتاء فأعفاه السلطان من الخدمة كارها لنزاهته وعفته واستقامته .

قال الشيخ المليمي ودخلت سنة ٨٩٢ والوظيفتان شاغرتان النياية والنظر قال ثم عين السلطان دقاق في نظر الحرمين فكان بعكس سلفه ظالماً فاجراً .

قال السخاوي في كتابه الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع كان الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي من أهل الخير والصلاح حفظ القرآن الكريم وهو صغير وجوده على ابن كوزلبغا والذين طاهر وآخرين وبعد أن ذكر خدماته في القدس والخليل قال وصرقه السلطان قايتباي بدقاق . والمليمي يؤكد أن النشاشيبي هو الذي استعفى من تلقاء نفسه وأن السلطان ألح عليه في البقاء في نظير الحرمين فرفض ألح وصاحب الدار أدرى .

ولم ينس الأمير ناصر الدين تلك البلاد التي صرف فيها زهرة العمر فرجم إلى القدس ونائل الدور والقصور والحقول والبساتين وانتهت الأسرة كلها بالانتقال من مصر إليها منذ القرن التاسع إلى الآن ...

وبعد فهذه لمعة صغيرة عن أصل هذه الأمير الشهير والكاثر النحرير والحجة الثابت والنزوى الضليع عظيم القدس والخليل البلد المعلوم وموطن القبر الموهوم الذي من أجله تقاتل الأخوان كلهم وحشان قرونا وأجيالا حتى اصططفت الأراضي المقدسة بالدماء فشربتها شرب الميم ولم يبق فيها دعاء إبراهيم وهي اليوم كما كانت بالأمس وأسفا والفرق في الأيام فقط فتلذت حروب صليبية وهذه حروب صهيونية تدور حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أحمد لطفي السيد

ولد في مصر سنة ٨٢١ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم في صغره وجوده على أشهر علماء عصره ثم اتصل بكأبيه بخدمة الملك الظاهر جقمق . وفي سنة ٨٧٥ اختاره الملك الأشرف قايتباي لوظيفة ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) فدام في هذه الوظيفة ما يقرب من الثمانية عشرة عاماً ، كانت كلها خيراً وبركة على القدس والخليل وأهلها . وقد فصل المليمي في كتابه تاريخ القدس وأخيل حكم هذا الأمير لتلك البلاد فقال كانت أيامه كلها مواسم ... وناهيك بهذه الشهادة من شاهد عيان .

وحتى يكون القارىء على بينة من سر حنين المرحوم إسحاق بك لوطى أمرته الأول مصر تفصل له قليلا من أخبار الأمير ناصر الدين في القدس وكيف استقرت فيها هذه الأسرة المصرية الكريمة منذ خمسة قرون إلى الآن ... قال المليمي في حوادث ٨٧٣ هـ كثرت الفتن في القدس بين نائب السلطنة (حاكم القدس) ودمرداش وناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) رد بك التاجي واشتد الخلاف بينهما وكثر القيل والقال فادى الحال إلى انفصال الأخير عن نظر الحرمين الشريفين وعين السلطان قايتباي الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أحد الخازنات بالخدمة الشريفة (أحد رجال الديوان السالى كما هو متعارف اليوم) للكشف عن أوقاف الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وتحرير أسرها وإصلاح ما فسد من نظامها فحضر إلى القدس وأصلح ما فسد من أيام رد بك التاجي وعصر المسجد الأقصى وصرف المالم (المرتبات) واستبشر الناس بالخير وعد ذلك من بركة الأمير ناصر الدين ثم توجه إلى مصر في آخر سنة ٨٧٤ هـ وفي سنة ٨٧٥ استقر الأمير المذكور في نظر الحرمين الشريفين ودخل إلى القدس في يوم مشهود وشرع في عمارة الأوقاف بهمة وشهامة وحصل للأراضى المقدسة الجمال بوجوده وكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء ويحسن إليهم بالإشر والقبول . وفي سنة ٨٧٧ هـ شرع في عمارة الصخرة الشريفة وانتهى العمل فيها في سنة ٨٧٨ هـ وفي هذه السنة خلع عليه السلطان قايتباي وعلى القاضي شهاب الدين بن عيسى ووهبهما ألف دينار وحضر الاثنان إلى القدس وعليهما خلة السلطان فكان يوماً مشهوداً ...

وفي سنة ٨٩٢ هـ اشتد الغلاء بالقدس والخليل وصامت سيرة